



المرء على دين خليله

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله اللهم صل عليه وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:

فإن الإنسان في هذه الدنيا لا يستطيع أن يعيش وحده فلا بد له من قدر من التعامل والاختلاط بالناس، وهذه الخلطة قد تقوى فتصير صحبة وصدافة وهذه الصحبة والصدافة لها تأثير في كل من طرفيها قد يكون حسنا وقد يكون سيئا يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم « الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلُ- يصاحب- » [أبو داود] فالإنسان يكون على عادة صاحبه وطريقته وسيرته، ومن هنا حثنا الدين الحنيف على صحبة الأبرار وحرنا من صحبة الأشرار يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: « إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ وَالْجَلِيسِ السَّوِّءِ كَمَثَلِ الْمِسْكِ وَنَافِخِ الْكَبِيرِ فَحَامِلُ الْمِسْكِ إِمَّا أَنْ يُحْدِثَكَ -يعطيك- وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً وَنَافِخِ الْكَبِيرِ إِمَّا أَنْ يُحْرِقَ ثِيَابَكَ وَإِمَّا أَنْ تَجِدَ رِيحًا خَبِيثَةً » [البخاري] فعلى العاقل أن يتفحص أصحابه فكم كانت الصحبة سببا لارتكاب كثير من الموبقات والفواحش كالزنا وشرب الخمر وتعاطي المخدرات والسرقة والقتل وغير ذلك وخصوصا في سن الشباب يقول الله تعالى {وَقِيصْنَا لَهُمْ فُرْنَاءَ قَرَيْبُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمِّ قَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ} [فصلت: 25] لقد زينت لهم صحبتهم الفاسدة قبائح الأعمال في الدنيا، ودعواهم إلى لذاتها وشهواتها المحرمة، ونسيان الآخرة والتكذيب بالمعاد وأبعدهم عن الخير وأضلواهم عن الهداية، وبذلك استحقوا دخول النار في جملة أمم سابقة من كفر الجن والإنس، فخسروا بذلك دنياهم وآخرتهم.

ولقد بين الله حال هؤلاء الخاسرين فقال {وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا (27) يَا وَيْلَتَا لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا (28) لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا (29)} [الفرقان: 27 - 29] فتأمل حسرتهم وندمهم بسبب الصحبة الفاسدة. وحينها يلقي كل واحد اللوم على الآخر ويطلب من الله مضاعفة العقوبة له {قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ غَدَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ} [ص: 61] ولهذا قال الله تعالى {الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ} [الزخرف: 67] فهذه الآية الكريمة تبين النتيجة النهائية لهذه العلاقة، ومن معانيها أن كل صداقة وصحابة لغير الله فإنها تنقلب يوم القيامة عداوة، إلا ما كان لله عز وجل فإنه دائم النفع لصاحبه في الدنيا والآخرة.

عباد الله: إن أول طريق الخير هو ترك الصحبة الفاسدة والحرص على مصاحبة الأخيار ففي حديث النبي صلى الله عليه وسلم الذي ذكر فيه قصة الرجل الذي قتل مائة نفس ثم تاب فسلطت عليه فقال: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ فَقَالَ: نَعَمْ وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضٍ كَذَا وَكَذَا فَإِنَّ بِهَا أَنَسًا يَعْبُدُونَ اللَّهَ فَأَعْبُدِ اللَّهَ مَعَهُمْ وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ فَإِنَّهَا أَرْضٌ سَوْءٌ. فَانْطَلِقْ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللَّهِ. وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ. فَأَتَاهُمُ مَلَكٌ فِي صُورَةِ أَدَمِيٍّ فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ فَقَالَ قِيَسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ فَأَلَى أَيْتَهُمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ.



فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَىٰ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ « . قَالَ قَتَادَةُ فَقَالَ الْحَسَنُ ذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ لَمَّا أَتَاهُ الْمَوْتُ نَأَى بِصَدْرِهِ. [مسلم] وهذا الحديث كما يظهر سعة رحمة الله وعظيم مغفرته وأنه على الإنسان أن لا ييأس من رحمة الله وأن يبادر بالتوبة, فهو كذلك يظهر لنا خطر الصحبة الفاسدة وأهمية البعد عن هذه الصحبة والبحث عن الصحبة الصالحة التي تعيننا على فعل الخير وترك الشر.

عباد الله: لقد أوصى الله رسوله وأوصانا كذلك فقال: {وَأوصِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا} [الكهف: 28] وأوصانا النبي صلى الله عليه وسلم فقال: (لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي) [أحمد] وذلك لأن صحبة الصالحين ترفع صاحبها في الدنيا والآخرة, وقد ذكر في الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن الله يغفر لمن اجتمعوا على ذكر الله فتقول الملائكة: يا رب إن فيهم فلان ما جلس معهم إلا حاجة فيقول الله لملائكته: وله قد غفرت, هم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

فلنحرص أحبتي على صحبة الصالحين ولنجتنب صحبة الفاسدين حتى لا نندم وقت لا ينفع الندم.

وأخيرا, ندعو بما جاء في كتاب الله على لسان سيدنا سليمان عليه السلام: "وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين".

كتبه فضيلة الشيخ جمال عبد الإمام خليل مبعوث وزارة الأوقاف المصرية -ساو باولو- البرازيل